البحث الصوتي في الكتب النحوية
كتاب المقتضب للمبرّد (ت ٢٨٥ هـ) أنموذجاً

د. كريم أحمد جواد التميمي الكلية التربوية المفتوحة/بغداد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، المنعوت بجميل الصفات ، وصلى الله سبحانه وتعالى على سيدنا محمد المبعوث رحمة للكائنات وعلى اله الطيبين الطاهرين وصحبه المنجبين التقاة الهداة .

أما بعد :

فليس بخاف على أحد ، أهمية الدراسات الصوتية ، وأثرها الكبير والواضح في إثراء المكنوز المعرفي لدارسي اللغة العربية ، فضلاً عن أنها تمثل المستوى الأول في الدراسات اللغوية قبل الدراسات الصرفية والنحوية والدلالية ٠ وتمثل هذه الدراسات موضوعاً واسعاً وشاقاً وليس سهلاً ، لذلك حظيت بعناية علماء العربية قديماً وحديثاً ، لذلك كان ممّا سبق من أهم الأسباب التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع ونتيجة له في الوقت نفسه ٠

والمعروف أن الكتب النحوية الأولى مثل الكتاب لسيبويه (ت ١٨٠هـ) والمقتضب للمبرّد (٢٨٥ هـ) والأصول في النحو لأبن السّراج (ت ٣١٦ هـ) وغيرها كانت تضّم الدراسات اللغوية المختلفة الصوتية والنحوية والدلالية وفي أجزاء الكتاب الواحد ، أي إن تداخل الدراسات كان شيئاً طبيعياً ومعروفاً في مثل هذه الكتب ٠ لذلك ارتأيت أن أقف على أمثلة من البحث الصوتي في كتاب المقتضب في هذا البحث الموجز الذي سيكون اضادة لبحوث مستقبلية في هذا المجال إن شاء الله ٠ أشتمل البحث على ما يأتي :

الأول : نظرة في حياة المبرّد وكتابه المقتضب ٠
الثاني : مواضع الدراسة الصوتية في المقتضب ٠
الثالث : موقف المبرّد من عدد الحروف ومخارجها وصفات الأصوات في المقتضب ٠

ولقد عرضت تلك المباحث الصوتية كما وجدتها في المقتضب ، مستفيداً من بعض المصادر لبيان جهود علماء العربية في هذا الميدان ومستعيناً بقول المبرّد نفسه ليتبين لنا أثره في الدراسات الصوتية من خلال كتابه المقتضب وتلي ذلك خاتمو لأهم نتائج البحث ، ثم ثبت المصادر والمراجع ٠

أما أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت في هذا البحث ، فهي :

المقتضب ـ وهو موضوع البحث ـ والكتاب لسيبويه وسر صناعة الأعراب لأبن جني (٣٩٢ هـ) ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني) الأصوات للدكتور كمال محمد بشر

والأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، لعبد العزيز الصيغ ، فضلاً عن مصادر ومراجع أخرى مذكورة في هوامش البحث ٠أتمنى أن يكون هذا البحث نافعاً وجديداً لدارسي اللغة العربية في الجانب الصوتي من خلال كتاب نحوي مهم وهو المقتضب ٠

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أولاً : نظرة في حياة المبرّد وجهوده وكتابه المقتضب

لابد لنا ونحن نقلب صفحات المقتضب ، أن نتساءل عن العقلية الفذة التي أبدعت هذا الكتاب ، وهي عقلية علم من أعلام العربية ، وأبنائها البررة ، الذي جادت به مشيئة الله ، فجاء بمؤلفات أثار قيمة ، زادت من ثروة المكتبة العربية ، لتكون بذلك آثار ثاني علم عرّبي بعد الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) ، ذلك هو المبرّد ٠ وهو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسّان الثمالي الأزدي البصري[١] ، كنيته (أبو العباس)،ولقبه المبرّد[٢] ٠ولد في البصرة[٣] وقد أختلف في ولاته فقيل انّه ولد في سنة سبع ومئتين ،، وقيل سنة عشر ومئتين[٤] ، وأختلف كذلك في وفاته ، فقيل سنة خمس وثمانين ومئتين ، وهو الأشهر ، وقيل سنة ستة وثمانين ومئتين[٥] وأما لقبه فهو بضم الميم وفتح الباء الموّحدة ، وبالرّاء المشدّدة وبعدها دال مهملة ، وهو لقل عرف به ، وأختلف في حركة الرّاء فقيل (المبرّد) بالكسر ، وقيل (المبرّد) بالفتح[٦] ٠ وللقبه في كلتا الصورتين سبب يروى ، فأما لقبه بكسر الراء ، فأشهر ما قيل في سببه أن المازني ـ وقد كان أستاذه ـ أعجب به فسماه (المبرّد) بكسر الراء ، لأنه كان يتصدر حلقة أستاذه يقرأ عليه كتاب سيبوبه ، وأبو عثمان جالس في تلك الحلقة كأحد من فيها ، يستمع إلى شرح تلميذه الذكي[٧] ، ولّما صنّف المازني كتاب الألف واللام سأل المبرّد عن دقيقة وعويصة ، فأجابه بأحسن جواب ، فقال له : قم فأنت المبرّد ـ بكسر الرّاء ـ أي المثبّت للحق ، فعيّره الكوفيون ، فتحوا الرّاء[٨]٠ ويبدو إن في نسبة القول بفتح الراء إلى الكوفيين تحاملاً واضحاً إذ أن ما عرف عن علمائنا من أهل الكوفة أو البصرة من علم وورع ، وهم علماء اللغة وعلماء القران قبل ذلك ، يتنافى مع الدعوى بأنهم قد ينحدروا وينزلقوا إلى التنابز بألقاب غير محبذة ٠ وأما (المبرّد) بالفتح ، فقيل في سببه أن أبا حاتم السجستاني جعله يوماً في غلاف مزملة فارغ حين طلبه صاحب الشرطة لمنادمة الأمير ، فدخل بيته ، وفتشه فلم يجده وخرج ، وعند ذلك صار السجستاني

١- ينظر : وفيات الأعيان : ٤ / ٣١٣ ، وبغية الوعاة : ١ / ٢٦٩ ٠
٢- ينظر : طبقات النحويين واللّغويين : ١٠١ وبغية الوعاة : ١ / ٢٦٩ ٠
٣- ينظر : المصدران أنفسهما، والأعلام : ٧ / ١٤٤ ٠
٤- ينظر : بغية الوعاة : ١/ ٢٦٩ ٠
٥- ينظر : طبقات النحويين واللغويين : ١٠١ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٢ / ٤٨٩ ٠
٦- ينظر : وفيات الأعيان : ٤ / ٣٢١ ، وبغية الوعاة : ١ / ٢٦٩ ٠
٧- ينظر : طبقات النحويين واللغويين : ١٠٨ ٠
٨- ينظر : بغية الوعاة : ١ / ٢٦٩ ٠

يصّفق وينادي (المبرّد ٠٠٠، المبرّد ٠٠٠) وهذا القول أورده ابن خلكان عن ابن الجوزي في كتابه (الألقاب)الذي ذكر فيه أن المبرّد قد لقيه فسأله أبن الجوزي عن سبب تلقيبه بهذا اللقب فأخبره بالقصّة التي ذكرت[١] . وفي سبب هذا اللقب روايات كثيرة اكتفيت بذكر أشهرها وهي مبثوثة في كتب التراجم .

وذهبت د. خديجة الحديثي إلى ما ذهب إليه الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة من أنّ أبا العباس المبرّد إنما عرف واشتهر بهذين اللقبين ، واشتهار الشخص بلقبين ليس أمراً مستبعداً [٢] .

أخذ المبرّد علمه عن المازني والجرمي وأبي حاتم السجستاني والجاحظ . وأهم ما اعتمد من مصادر في تلمذته هو الكتاب لسيبويه ، إذ يعد من الذين يعرفون عويصه وضبط مسائله ، ونقل عن السجستاني أنه كان إذا سئل عن الانتفاع بكتاب سيبويه نصح سائله بالذهاب إلى المبرّد [٣] .

وقد برز المبرّد في أكثر العلوم ، ولا سيما اللغة والنحو ، فضلاً عن ذلك فقد كان فصيحاً بليغاً مفوّهاً نسّابة ، وأديباً ، وعالماً بمعاني القرآن ، وصاحب طرفة ونوادر ، وله قدر جليل من العلم ، والمعرفة ، وكان ثقة إخبارياً ، قال نفطويه : ((ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه))[٤]، وإلى المبرّد انتهت رئاسة النحو في البصرة بعد شيخه المازني [٥] وكان رأس نحاة البصرة في زمانه كما كان ثعلباً رأس نحاة الكوفة ، وتحدد الخلاف بين المذهبين باختلاف هذين الرأسين ، وكثيراً ما سلك المبرّد في النحو طريقاً خاصاً به ، ولم يتردد في مخالفة سيبويه نفسه ، بل حاول أيضاً نقض آراء سيبويه في بعض مصنفاته[٦] .

والتف حول المبرّد تلامذة كثر أخذوا عنه ، وأصبحوا فيما بعد شيوخ النحو وأقطابه منهم : درستويه ، والزجاج ، وابن السراج ، وإسماعيل الصفار ، ونفطويه والصولي وغيرهم [٧] .

وترك المبرّد آثار بارزة تدل على قدرته وتفوقه وسعة علمه ، وهي كثيرة ومتنوعة ، في النحو واللغة ، وفي إعراب القرآن ، والتراجم والأنساب ، وغيرها ، ونذكر من تصانيفه الباقية : معاني القرآن ، الكامل ، المقتضب ، المقصور والممدود ، المذكّر والمؤنّث ، الاشتقاق ، الوافي ، إعراب القرآن ، نسب عدنان وقحطان ، الرّد على سيبويه ، شرح شواهد الكتاب ، ضرورة الشعر ، العروض ، ما اتفق لفظه واختلف معناه ، طبقات النحويين البصريين ، التعازي والمراثي ، والروضة [٨] .

١- ينظر : وفيات الأعيان : ٤ / ٣٢١ .
2- ينظر : المبرّد سيرته ومؤلفاته : ١٦ .
3- ينظر : طبقات النحويين واللغويين : ١٠٨ .
4- ينظر : بغية الوعاة : ١/ ٢٧٠ .
5- ينظر : طبقات النحويين واللغويين : ١٠٨ .
6- ينظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٤٨٨/٢ .
7- ينظر : طبقات النحويين واللغويين : ١٢٢، ١١٤ ، وبغية الوعاة : ٢٦٩/١ .
8- ينظر : الأعلام : ١٤٤/٧ ، وبغية الوعاة : ٢٧٠/١ .

أما عن كتاب المقتضب للمبرّد فقد ظهر محققاً في أربعة أجزاء ضخمة تحقيقاً ممتازاً ، حققه الأستاذ الشيخ الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة(ت١٩٨٤م) بين سنتي ١٩٦٣و١٩٦٨م في (ست وستين وتسعمائة وألف) صفحة مع المقدمة والفهارس [١] .

وقد جمع عضيمة في تعليقاته على المقتضب ((كل شاذة وفاذة ، وحسبه أنه ربط مسائل المقتضب ربطاً محكماً بكتاب سيبويه ، بل أنه ظل زماناً مفتاحاً لسيبويه قبل أن تظهر فهارسه التي صنعها الشيخ نفسه)) [٢] .

إنّ من أشهر الدارسين الذين كتبوا عن المبرّد وآثاره العلمية من المحدثين :

١. الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة في تحقيقه المقتضب وفي كتابه المهم (أبو العباس المبرّد وأثره في علوم العربية) الذي طبع سنة ١٩٨٥ م بعد أن ظل مخطوطاً منذ سنة ١٩٤٢م .
٢. الأستاذ أحمد حسنين القرني وعبد الحفيظ مزعلي في كتابهما (المبرّد وحياته وآثاره) المطبوع سنة ١٩٧١م .
٣. الأستاذة الدكتورة خديجة الحديثي في كتابها : (المبرّد سيرته ومؤلفاته) الذي طبع في بغداد سنة ١٩٩٠م .

ثانياً ـ مواضع الدراسة الصوتية في المقتضب

إنّ الناظر في الكتب الأولى التي عنيت بالعربية ، يجد أنّ المنهجية في التأليف لم تكن أمراً ملتزماً ، إذ كانت الموضوعات مبثوثة في أجزاء الكتاب لا يهتدي إليها الباحث إلاّ بعد عناء ، وخير مثال على ذلك كتاب سيبويه إذ أنه كثيراً ما يتحدث عن الموضوع ويرجئ بقيته إلى مواضع أخرى يكون ذكره فيها أدعى وأنسب ، وهكذا حتى إذا جئنا نبحث عن الموضوع وجدنا نتفاً منه في نوضع ما ، ونتفاً في مواضع أخرى. غير أنّ منهجية المبرّد في كتابه المقتضب في الدراسة الصوتية كانت واضحة ومرتبه ، فهي منهجية العالم الحصيف المتمكن ، وعلى الرغم من اعتماده على كتاب سيبويه مصدراً مهماً في ذلك ومتابعته له في كثير من القضايا والآراء ، إلاّ أنه استطاع مع ذلك أن يجعل لنفسه منهجه الخاص الذي تناول فيه الموضوعات .

فمادة البحث الصوتي في كتاب المقتضب قد تركزت في الجزء الأول بشكل كبير ، فيما أسماه : أبواب الإدغام [٣] .فضلاً عن المواضع الأخرى المتفرقة التي يعثر عليها أحياناً ، ومنهجه في الدراسة الصوتية تمثل بذكره أعداد الحروف [٤] ، ثم ذكر مخارجها[٥] ، وصفاتها ومصطلحات هذه الصفات [١] ، ثم أنتقل بالحديث إلى الظاهرة الصوتية التي سمى الباب باسمها وهي الإدغام متناولاً إياها بحسب ما يأتي :

1- ينظر : محمد عبد الخالق عضيمة وجهوده النحوية (رسالة ماجستير) : ٥٢ .
2- مدخل إلى نشر التراث العربي ... : ١٤٠ ـ ١٤٢ .
3- ينظر المقتضب : ١٩٢/١ .
4- ينظر المصدر نفسه : ١٩٢/١ .
5- ينظر المصدر نفسه : ١٩٢/١ ـ ١٩٤ .

الباب الأول : إدغام المثلين[٢] .
الباب الثاني : الإدغام في المقاربة وما يجوز منه وما يمتنع[٣] .
الباب الثالث : ما تقلب فيه السين صاداً ، وتركها على لفظها أجود[٤] .

ثالثاً ـ موقف المبرّد من عدد الحروف ومخارجها وصفات الأصوات

١. عدد الحروف :

الحرف عند المبرّد يقصد به الصوت ، وهذا المصطلح (الحرف) درج عليه الرعيل الأول من علماء العربية ، ذلك لأنهم على ما يبدوا لم يفرقوا بين (الحرف) و(الصوت) على نحو ما يفرق الدرس الصوتي الحديث بين phoneme و sound أو allophone ، إذ يشمل الحرف عندهم كل ما سبق ، وقد نعى فريق من المستشرقين على سيبويه (١٨٠هـ) وسواه من علماء العربية استخدام (الحرف) الذي يتخذ تعبيراً عن الرمز المكتوب ، ولما يسمع ، وعدوا هذا مجانبةً للدقة[٥] .

إلاّ أننا نجد فريقاً آخر من علماء العربية ، قد فرق بين (الحرف) و(الصوت) فعرف مصطلح كل منهما ، منهم ابن جني (ت٣٩٢هـ) بدلالة قوله : ((إعلم أنّ الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً ، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً))[٦] .

ولم يفرق المبرّد بين مصطلحي (الحرف) و (الصوت) بل جاء بالحرف و هو يعني به الصوت في المباحث الصوتية التي وجدت في كتابه[٧] .

وقال كثير من علماء العربية بعدد حروفها ، أولهم الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه (العين) ، إذ جعلها تسعة وعشرين حرفاً ، وقد رتّب أبواب معجمه بعددها[٨] وهو ما قال به سيبويه : ((فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً ، الهمزة والألف والهاء.....))[٩] .

والحروف عند المبرّد خمسة وثلاثون ، منها ثمانية وعشرون لها صورة ، وسبعة جارية على الألسن ، مستدل عليها في الخط بالعلامات ، وموجودة في المشافهة[١٠] ، والثمانية والعشرون التي لها صورة هي :

1- ينظر المصدر نفسه : ١/ ١٩٤ ـ ١٩٦ .
2- ينظر المصدر نفسه : ١/ ١٩٧ .
3- ينظر المصدر نفسه : ٢٠٧/١ .
4- ينظر المقتضب : ٢٢٥/١ .
5- ينظر : في البحث الصوتي عند العرب : ٢٩ .
6- سر صناعة الإعراب : ٦/١ .
7- ينظر : المقتضب : ١٩٢/١ .
8- ينظر : العين : ٤٢/١ .
9- الكتاب : ٤٠٤/٢ .
10- ينظر : المقتضب : ١٩٢/١ .

(ء ، هـ ، ا ، ح ، ع ، خ ، غ ،ق ، ك ، ش ، ج ، ض ، ل ، النون المتحركة ، النون الساكنة ، ر ، ط ، ت ، د ، س ، ص ، ز ، ظ ، ث ، ذ ، ف ، و ، ب ، م)[1] ، ثم قال : ((وأما الستة التي كملت هذه خمسة وثلاثين حرفاً بعد ذكرنا: الهمزة بين بين ، الألف الممالة ، وألف التفخيم ، والحرف المعترض بين الشين والجيم ، والحرف المعترض بين الزاي والصاد ، والنون الخفيفة ، فهي خمسة وثلاثون حرفاً))[2] .

وهذه الحروف الستة فروع وأصلها من التسعة والعشرين ، وهو هنا موافق لقول من سبقه مثل سيبويه ، بدلالة قول سيبويه : تكون هذه الحروف خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هنّ فروع وأصلها من التسعة والعشرين ، وهي كثيرة ، يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار ، وهي النون الخفيفة ، والهمزة بين بين ، والألف التي تمال إمالة شديدة ، والشين التي كالجيم ، والصاد التي كالزاي ، وألف التفخيم ... وتكون أثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ...))[3] .

٢. مخارج الحروف :

المخرج في اللغة من ((الخروج نقيض الدخول ، خرج يخرج خروجاً ، فهو خارج ، وخروج ، وخرّاج ، وقد أخرجه به))[4] .

وأما المعنى الاصطلاحي ليخرج فهو ((النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء والتي يصدر الصوت فيها ، وهو من مصطلحات الخليل ، إذ استعمله في مواضع خروج الصوت))[5] .

وقد استعمل سيبويه هذا المصطلح [6] ، وتابعه المبرّد في باب مخارج الحروف[7] ، فعبر عن المعنى الاصطلاحي الذي أشير إليه بذكر مخرج كل حرف من الحروف .

وعدد مخارج الحروف كانت ثمانية عند الخليل في مقدمته [8] ، وتابع المبرّد سيبويه [9] في أنها ستة عشر مخرجاً ، ذكرها مبتدئاً بقوله : ((فمنها للحلق ثلاثة مخارج ...))[10]

والحلق في اللغة : (مساغ الطعام والشراب في المريء)[11] . وهو في الاصطلاح : ((الفراغ الذي بين الحنجرة والفم ، وهو فضلاً عن أنّه مخرج أصوات لغوية خاصة ، يستعمل بصفة عامة كفراغ رنّان ضخم لبعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة))[12]

1- ينظر المصدر نفسه : ١٩٢/١ ـ ١٩٤ .
2- ينظر : المقتضب : ١٩٤/١ .
3- الكتاب : ٤٠٤/٢ .
4- لسان العرب : ٢٠٩/٢ ، مادة (خرج) .
5- المصطلح الصوتي : ٥٠ ـ ٥١ .
6- ينظر : الكتاب : ٤٠٥/٢ .
7- ينظر : المقتضب : ١٩٢/١ ـ ١٩٤ .
8- ينظر : العين : ٤٢/١ .
9- ينظر : الكتاب : ٤٠٤/٢ ـ ٤٠٥ .
10- المقتضب : ١٩٢/١ .
11- اللسان : ٥٨/١٠ .
12- المصطلح الصوتي : ٥٨ ، وينظر : الأصوات اللغوية : ١٩ .

والأصوات الحلقية عند المبرّد سبعة كما هي عند سيبويه[1] ، وهي من مخارج ثلاثة : أقصى الحلق ، والحلق ، ومما يلي الحلق وهو أدنى إلى الفم ،وهي على الترتيب ((ء ، هـ) ، أ) ، (ح ، ع)، (خ ، غ))) . وأقر ابن جني هذا الترتيب في (سر صناعة الإعراب) ، إذ قال : ((فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها وهو الصحيح ...))[2] .

والمخرج الثاني عند المبرّد هو (الفم) الذي يقابله عند سيبويه مصطلح (اللسان) وهو مخرج (القاف والكاف والشين والجيم) على الترتيب ، من أول مخارج الفم مما يلي الحلق ، من مخرج الجيم [3] ، وإطلاق المبرّد لمصطلح (الفم) على مخرج هذه الأصوات ، وهو يشمل اللهاة والطبق والغار[4] .

وترتيب الحروف بحسب مخارجها عند المبرّد يستمر مع (الضاد) الذي يرى مخرجه من الشدق (الفك) [5] ، ومن حرف اللسان معارضاً لأصول الثنايا والرباعيات مخرج (اللام) ، وأقرب مخرج منه هو مخرج (النون) المتحركة ، والنون الساكنة مخرجها من الخياشم ، وأقرب الحروف منه اللام ويقاربها النون والراء ، ومن طرف اللسان وأصول الثنايا مصعداً إلى الحنك مخرج الطاء والتاء والدال .ومن طرف اللسان وملتقى حروف الثنايا مخرج حروف الصفير : السين والصاد والزاي . ومن طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا مخرج الظاء والثاء والذال . ومن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء ، ومن الشفة مخرج الواو ، والباء والميم[6] . وبناءً على ما سبق فإنّ ترتيب الحروف بحسب المخارج عند المبرّد يكون كالآتي :

(ء، هـ ، أ ، ح ، ع ، خ ، غ ، ق ، ك ، ش ، ج ، ض ، ل ، النون المتحركة ، النون الساكنة ، ر ، ط ، ت ، د ، س ، ص ، ز ، ظ ، ث ، ذ ، ف ، و ، ب ، م) .

والملاحظ أنّ المبرّد قد تابع سيبويه في التفريق بين النون المتحركة والنون الساكنة (الخفيفة) وإن كان بالإمكان جعلهما من مخرج واحد لتقاربهما إذ تلي النون الخفيفة النون المتحركة[7] . وبهذا يكون ترتيب الأصوات في المخرج الواحد قد جاء مختلفاً عند المبرّد مع بقاء الاتفاق في المخرج الأول قائماً . وقد كان المبرّد دقيقاً في ترتيب مخارج الحروف وترتيب الحروف داخل المخرج الواحد .

٣. صفات الأصوات :

كان حديث المبرّد عن صفات الحروف محملاً ، إذ ذكر صفات الحروف وهي (الرخاوة ، والشدة ، والهمس ، والجهر ، والقلقلة ، والتفخيم ، والإمالة ، والتكرير) ولم يصرح في أثناء حديثه عن صفات الحروف بصفات أخرى اكتفى بذكرها في مواضع

1- ينظر : الكتاب : ٤٠٥/٢ .
2- سر صناعة الإعراب : ٥٠/١ ـ ٥١ .
3- ينظر : المقتضب : ١٩٢/١ .
4- ينظر : في البحث الصوتي عند العرب : ٢٠ .
5- ينظر : المقتضب : ١٩٣/١ .
6- ينظر : المصدر نفسه : ١٩٣/١ ـ ١٩٤ .
7- ينظر : علم اللغة العام (الأصوات) : ٩٢ .

سبقت من حديثه عن مخارج الحروف كالغنّة والتفشي[1] . ومن ذلك قوله : ((فأما الحروف المهموسة فنبدأ بذكرها ...))[2] ، والهمس في معناه اللغوي : ((الخفي من الصوت والوطىء والأكل...))[3] .

واصطلاحاً : هو عدم اهتزاز الوترين الصوتيين ، فالصوت المهموس هو ما لا يهتز معه الوتران الصوتيان ، ولا يسمع لهما رنين حين نطقه[4] . وهو أيضاً : ((جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج[5])) .

وحروف الهمس عند المبرّد هي : ((هـ ، ح ، خ ، ك ، ص ، ف ، س ، ش ، ت ، ث)) وأما المجهور فيقول فيه : ((ومنها حروف إذا رددتها ارتدع الصوت فيها ، وهي المجهور))[6] .

والجهر في اللغة : الإعلان[7] . وفي الاصطلاح : اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بالصوت [8] ، وهو أيضاً ((انحباس جري النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج))[9] . وحروف الجهر هي ما سوى الحروف المهموسة . وعن الأصوات الرخوة قال المبرّد : ((فأما الرخوة فهي التي يجري النفس فيها من غير ترديد))[10] . والرخاوة في اللغة : اللين والهشاشة [11] .

وفي الاصطلاح : عدم انحباس الهواء انحباساً تاماً عند النطق بالصوت ، وإنما إبقاء المجرى عند المخرج ضيقاً جداً مما يسمح بمرور النفس محدثاً نوعاً من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق المجرى[12] ، وحروف الرخاوة التي ذكرها المبرّد هي : {(س، ش، ز، ص ، ض ، وأضاف : وكل ما وجدت فيه ما ذكرت لك)[13] } وهي ثلاثة عشر حرفاً سوى حروف الشدة الثمانية [14] .

والشدة : أن يحبس الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً في موضع من المواضع فيضغط الهواء ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً [15] .

1- ينظر : المقتضب : ١٩٤/١ .
2- المصدر نفسه : ١٩٢/١ .
3- اللسان : ٢٥٠/٦ .
4- ينظر : الأصوات اللغوية : ٢٢ والمصطلح الصوتي : ١٠٧ .
5- فقه اللغة : ١٥٢ .
6- المقتضب : ١٩٤/١ .
7- ينظر : لسان العرب : ١٥٠/٤ .
8- ينظر : المصطلح الصوتي : ٨٩ .
9- فقه اللغة : ١٥٢ .
10- المقتضب : ١٩٥/١ .
11- ينظر اللسان : ٢١٤/١٤ .
12- ينظر : الأصوات اللغوية : ٢٥ والمصطلح الصوتي : ١٢١ .
13- المقتضب : ١٩٥/١ .
14- ينظر : فقه اللغة : ١٥٢ ـ ١٥٣ .
15- ينظر : علم اللغة العام (الأصوات) : ١٠٠ ، والمصطلح الصوتي : ١١٥ .

وجمعت حروف الشدة في عبارة : (أجدك قطب) [١] .

أما الاستعانة عند المبرّد فهي من صفات الحروف وفسرها بأنها أصوات شديدة استعانت بما جاورها من الرخوة فظهرت معترضة بين الرخوة والشديدة[٢] . واصطلاح بين الشدة والرخاوة من مصطلحات سيبويه [٣] ، وهو في الاصطلاح أن يحدث اتصال بين عضوي النطق ، كما هو الحال في الأصوات الشديدة ، إلاّ أنّ الصوت يجري في مجاري أخرى فيكتسب الرخاوة ، وهذه الحروف هي : الألف ، والعين ، والياء واللام والنون والميم ، والواو[٤] .

ومصطلح السين عند المبرّد موجود في كتابه المقتضب بدلالة قوله : ((...وكحروف المد واللين التي يجري فيها الصوت للينها))[٥] .

واللين اصطلاحاً : هو اندفاع الهواء عند النطق بالصوت من الرئتين ماراً بالحنجرة فالحلق فالفم في ممر ليس فيه عوارض تعترضه ليضيق مجراه ، وأصوات اللين هي :

الياء والواو والألف [٦] .

ووصف المبرّد (الراء) بأنه حرف ترجيع (مكرر)[٧] ، والتكرير صفة من صفات الراء وهي خاصة به ، كأنّ طرف اللسان يرتعد به[٨] .

كما أنّ القلقلة من صفات الحروف التي ذكرها المبرّد بدلالة قوله : ((إعلم أنّ من الحروف حروفاً محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقف على الحروف منها نبرة تتبعه ، وهي حروف القلقلة ... فمنها القاف والكاف ...وإنما تظهر في الوقف ، وإذا وصلت لم يكن لأنّك أخرجت اللسان عنها إلى صوت آخر ، فحلت بينه وبين الاستقرار ، وهذه المقلقلة بعضها أشد حصراً من بعض ...))[٩] ، والملاحظة عند المبرّد هنا دقيقة جداً إذ وصف حروف القلقلة ثم بين موضعها والتفاوت الذي بينها في الحصر . والقلقلة اصطلاحاً : صوت يشبه النبرة عند الوقف على عدد من الأصوات وإرادة تمام النطق بها[١٠] .وهي ممثلة بالقاف والجيم والطاء والدال ، والياء .

والقلقلة من مصطلحات سيبويه واستقرت عند المبرّد في تعريفه لها ، فكان المبرّد أكثر وضوحاً عند حديثه عنها في مخارج الأصوات[١١] .

1- الأصوات اللغوية : ١٢٢ .
2- ينظر : المقتضب : ١٩٥/١ .
3- ينظر: الكتاب : ٤٠٦/٢ .
4- ينظر : المصطلح الصوتي : ١٢٥ .
5- المقتضب : ١٦٩/١ .
6- ينظر : المصطلح الصوتي : ١٦٠ .
7- ينظر : المقتضب : ١٩٦/١ .
8- ينظر : فقه اللغة : ١٥٥ .
9- المقتضب : ١٩٦/١ .
10- ينظر : المصطلح الصوتي : ١٥٣ .
11- ينظر المصدر نفسه : ١٥٤ .

وأضاف المبرّد قائلاً : ((وإنما قدمنا هذه المقدمات ...لنجربها في مسائل الإدغام ...))[1] إذ كانت الظواهر الصوتية متمثلة بأنواع الإدغام التي عرض لها وهي إدغام المثلين ، وإدغام المقاربة اللذان شكلا جهداً صوتياً كبيراً لدى المبرّد ، ولم أتناولها في بحثي هذا لطولها واكتفيت بما ذكرت من مخارج الحروف وصفاتها وعددها .

الخاتمة ونتائج البحث

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، أما بعد فيمكنني أن أجمل أهم نتائج بحثي الموسوم بـ ((البحث الصوتي في الكتب النحوية ، كتاب (المقتضب) للمبرّد أنموذجا بما يأتي :

١. يعد كتاب المقتضب للمبرّد من أهم آثاره اللغوية ، وهو أول مؤلف نحوي لعالم عربي ، وان تحقيقه للأستاذ الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة متميز ، بل أنه كان مفتاحاً لكتاب سيبويه قبل تحقيقه من الأستاذ عبد السلام محمد هارون.
٢. إنّ الجهود في البحث الصوتي بدأت مبكرة جداً ، وكان أثر العلماء العرب في ذلك كبيراً ومتميزاً تمثل بالخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين الذي يعد المنهل الأول للدراسات الصوتية التي جاءت بعده سواء كان عند سيبويه أو المبرّد أو غيرهما من علماء العربية .
٣. تركز البحث الصوتي في المقتضب واضحاً في الجزء الأول من الكتاب فيما سمي (أبواب الإدغام) .
٤. إنّ كثيراً من آ راء المبرّد في البحث الصوتي قد وافقت ما وجد عند سابقيه ولا سيما سيبويه إلاّ أنه لم يتردد في إيراد مخالفات واضحة في مواضع أخرى من البحث الصوتي لسيبويه ولغيره .
٥. يعد كلام المبرّد على حروف العربية ومخارجها دقيقاً جداً ، وجهده هذا أثرى الدراسات الصوتية المتأخرة عنه بمادة كبيرة ومهمة .
٦. يقصد بالحرف عند المبرّد الصوت ، وهو ما عليه الرعيل الأول من علماء العربية في الدراسات الصوتية .
٧. إنّ عدد الحروف عند المبرّد خمسة وثلاثون ، منها ثمانية وعشرون لها صورة ، وسبعة جارية على الألسن ، مستدل عليها في الخط بالعلامات وموجودة في المشافهة .
٨. إنّ عدد مخارج الحروف عند المبرّد ستة عشر مخرجاً ، وهو هنا متابع لسيبويه ومخالف للخليل الذي رأى أنها ثمانية مخارج .
٩. إنّ الأصوات الحلقية عند المبرّد سبعة كما هي عند سيبويه ، وهي من مخارج ثلاثة : أقصى الحلق والحلق وما يلي الحلق .
١٠. يعد عمل المبرّد في ترتيب مخارج الحروف وترتيب الحروف داخل المخرج الواحد دقيقاً ومتميزاً .

1- المقتضب : ١٩٦/١ .

١١.يعد حديث المبرّد عن صفات الأصوات ، مثل الشدة والرخاوة والهمس والجهر والقلقلة والتفخيم ... وغيرها) مجملاً وليس تفصيلاً كما كان في عدد الحروف ومخارجها .
١٢.يعد جهد المبرّد الصوتي في إدغام المثلين وإدغام المقاربة كبيراً وكثيراً وهو يحتاج إلى دراسة مستقلة في بحث آخر إن شاء الله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ثبت المصادر والمراجع

١. الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس (ت١٩٧٧م) مكتبة نهضة مصر ، مصر ، (لات) .
٢. الأعلام (الجزء السابع) : فخر الدين الزركلي (ت١٩٧٦م) ،ط٥ ،دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ١٩٨٠م .
٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط١ ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
٤. تاريخ الأدب العربي : لكارل بروكلمان ، ترجمة د. عبد الحليم النجار وآخرين ، دار المعارف مصر ،١٩٦١م .
٥. سر صناعة الاعراب : لأبي الفتح بن جني ،تحقيق د.حسن هنداوي ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٦. طبقات النحويين واللغويين : لبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
٧. علم اللغة العام (القسم الثاني - الأصوات -) : د. كمال محمد بشر ، ط دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٥م .
٨. العين : للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) تحقيق : د. مهدي المخزومي (ت١٩٩٣م) ود.إبراهيم السامرائي (ت٢٠٠١م) ، تصحيح : أسعد الطيب ،ط١ ، مطبعة باقري (لات) ،ج١٥ .
٩. فقه اللغة : د. حاتم صالح الضامن ،دار الحكمة،الموصل،١٩٩٠م.

١٠.في البحث الصوتي عند العرب :د.خليل إبراهيم العطية،(ت١٩٩٨م) دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٣م ـ ١٤٠٣هـ .
١١.الكتاب : لسيبويه ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، دار القلم ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٦م ، الجزء الثاني .
١٢.لسان العرب : للعلامة ابن منظور (٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٦م.
١٣.المبرّد سيرته ومؤلفاته : د. خديجة الحديثي ،ط١ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠م.
١٤.محمد عبد الخالق عضيمة وجهوده النحوية(رسالة ماجستير) : كريم أحمد جواد ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٥.مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف : د.محمود محمد الطناحي،ط١،مطبعة المدني،مصر ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.
١٦.المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : د.عبد العزيز الصيغ،دار الفكر العامر،دمشق١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
١٧.المقتضب (الجزء الأول) : لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت٢٨٥هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتاب ،بيروت (لات).
١٨.وفيات الأعيان (الجزء الرابع) : لأبن خلكان (ت٦٨١هـ) تحقيق :د.إحسان عباس ،دار صادر بيروت، (لات).